(٢٩)

خداع اليهود وسموم المنافقين !!

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة النجم الآية ٣٢].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة ق الآية ٣٨].

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[سورة التوبة الآية ٧٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران الآيات من ١٠٠ – ١٠٣].

* * *

obeikandl.com

«المسجد بالمدينة المنورة يوم جمعة.. النبى – ﷺ – وقد انتهى من خطبته فى المسلمين.. ألقاها عليهم كالمعتاد مستندًا إلى جذع نخلة.. يحس المسلمون بما فى ذلك من معاناة وإرهاق، ولكن النبى عليه السلام لا يجد فيه رهقًا.. ينبرى أحد الصحابة..».

الصحابى : (على استحياء) يا رسول الله.. لقد كثر الناس (يعنى المسلمين) وإنهم يحبون أن يروك.. (فى تردد) فلو اتخذت منبرًا لقدر قيامك – تقوم عليه، فيراك الناس..

«يصادق المسلمون على ما أشار به صاحبهم..».

النبى : (وعلى وجهه علامة الموافقة) فمن يجعل لنا هذا المنبر؟

مسلم : (ينهض) أنا يا رسول الله.

النبى : تجعله؟

المسلم : نعم..

النبى : اقعد!

«يجلس الرجل، لا يدرى ولا يدرى المسلمون لماذا أبى عليه النبى – ﷺ – ما أراد!».

النبى : (فى الناس) من يجعل لنا هذا المنبر؟

مسلم ثان : (ينهض) أنا يا رسول الله.

النبى : تجعله؟

المسلم الثانى : نعم..

النبى : اقعد!

«يجلس الرجل، لا يدرى كسابقه ولا يدرى المسلمون لماذا أبى عليه النبى – ﷺ – ما عرضه».

النبى : (معاودًا فى الناس) من يجعل لنا هذا المنبر؟

رجل : (يتقدم إلى الرسول) أنا يا نبى الله.
النبى : تجعله؟
الرجل : نعم إن شاء الله..
النبى : ما اسمك؟
الرجل : ياقوم.. كنت نصرانيًّا وأسلمت يا نبى الله.
النبى : اجعله.

«يتهامس المسلمون لماذا أبى النبى على سابقيه، وقبل منه.. يهمس أحدهم للآخرين: أما لاحظتم.. هذا رجل قدم المشيئة وقال: إن شاء الله.. وسابقاه لم يفعلا!».

* * *

«بعد أيام.. المنبر وقد اكتملت إقامته.. ثلاث درجات من خشب بينه وبين الجدار ممر صغير.. النبى - ﷺ - وسط صحابته.. المسجد مزدحم بالمسلمين، ينهض عليه السلام ليحادث الناس فيعتلى المنبر.. يبدو الارتياح والرضا على المسلمين وقد أمكن كل منهم أن يرى النبى عليه السلام من موضعه».

* * *

«يهود المدينة وقد هلك لهم صبى صغير.. فانطلقوا يتحدثون بأنه صِدِّيق.. يقولون ذلك على كل ميت يموت منهم صغير السن..».

«النبى - ﷺ - فى بعض المسلمين بالمسجد يقول له أحدهم ما تقول يهود..».

المسلم : لقد مات لهم صبى صغير بأمس.. ساروا فى الناس يقولون إنه صِدِّيق، وإن آية ذلك أنه مات صغيرًا..

مسلم آخر : (مستفسرًا) أكل من مات صغيرًا صدِّيق؟!.. فإذا كان صدِّيقًا فكيف يقبضه الله صغيرًا؟..

النبى : (فى هدوء) كذبت يهود، ما من نسمة يخلقها الله فى بطن أمها إلاَ أنه شقى أو سعيد..

مسلم : فكيف إذًا يجزمون بأنه صدِّيق؟!!

«بعد أيام.. النبى - ﷺ - فى تحنثه وتهجده ومناجاته، يوافيه جبريل عليه السلام فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة النجم الآية ٣٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة.. شوال السنة الأولى للهجرة.. وقد مضت نحو ثلاث سنوات على عقد النبى - ﷺ - بمكة على عائشة ابنة الحبيب الصديق أبى بكر.. بالقرب من منزل أبى بكر بالسُنح - أنصارى ومهاجر يتناجيان..».

أنصارى : (لأحد المهاجرين) ألم بهجةً تفوح من بيت الصديق أبى بكر..

المهاجر : اليوم يبنى النبى – ﷺ – بعائشة بنت أبى بكر.

الأنصارى : ألم يعقد عليها بمكة؟!

المهاجر : من نحو ثلاث سنوات.. (يستأنف مفسِّرًا) تمهلوا فى الدخول حتى يشتد عودها.

الأنصارى : كانت صغيرة!

المهاجر : مضت سنوات على رحيا خديجة رضى الله عنها..

الأنصارى : كانت أثيرة لديه!

المهاجر : كذلك الصديق.. أصهر إليه محبة فيه وتكريمًا له ورباطًا لآصرتهما..

* * *

«بقرب المسجد النبوى.. يمضى هودج عليه متاع عائشة.. قادم فى فرح وقور من دار أبى بكر إلى دار الرسول.. يحط الركب رحاله أمام بيت النبى – ﷺ.. الدار بجوار المسجد، من حجرة واحدة مقامة بالطين واللبن.. سقف متواضع من الجريد وسعف النخيل، يكاد الواقف يلمسه بيديه.. سرير بسيط مصنوع من خشبتين مشدودتين بالحبال، مفروش بقطيفة بالية.. وعليه وسادة حشوها من الليف.. بالدار جرّة، وطست من الفخار للوضوء والاغتسال.. بجانب الحجرة آنية من الفخار للطعام، ورف ملتصق بالجدار به حفنات من شعير وتمر، وقربة ماء..».

obeikandl.com

على هـذه الدار قدمت عائشـة، لا ترى مما حولهـا إلا أنها لامسـت السـحاب بالزواج من رسول الله - ﷺ..».

* * *

«المدينة والمسـلمون يقرءون من سـورة المزمل التى نزلت بمكة.. يتلـون منها ما أمر به الحق تبارك وتعالى من قيام الليل إلا قليلاً.. وأن ناشئة الليل والقيام فيه للعبادة والصلاة وإن كانت أشق وأصعـب، إلا أنها أصلح وأبعد أثرًا وأشـد قولاً لهـدوء الليل وسـبحات النفس فيه.. المسـلمون يتشربون ويتعشقون وصايا الحق سبحانه وتعالى، فيرهقـون أنفسـهم رهقًا شـديدًا حتـى تورمت وانتفخت أقدامهم من فرط القيام ليلاً..».

«النبى عليه السلام فى تعبده وتحنثه ومناجاته ربه، يأتيه جبريل، فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو على محمـد) ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة المزمل الآية ٢٠].

(يرتفع الوحى)

«المدينة.. شـوال من السـنة الأولى للهجرة.. مع أنسـام الصباح الباكر يصحو المسـلمون على خبر سـعيد.. أول مولـود للمهاجرين بالمدينة.. فـى هذا اليـوم الصبوح ولدت أسمـاء بنت أبى بكـر لزوجها الزبير بن العـوام ولدهمـا عبد الله ابن الزبير.. كانت حُبلى فيه حين أتت من مكة لتلحق بأبيها أبى بكر وزوجها الزبير.. استبشر المسلمون وفرحوا بمولده.. كان اليهود قد أشاعوا أنهم سحروا للمسلمين ولن يولد لهم بيثرب!!».

«أسمـاء تحمـل مولودهـا إلى رسـول الله – ﷺ – يلثمه ويباركه ويدعو له.. يتلقفه من يديه الكريمتـين الزبير بن العـوام وزوجه أسماء بنت أبى بكر.. محوطين بأفراح وتكبيرات المسـلمين غبطة بأول مواليد دار الهجرة».

* * *

«شوال من السنة الأولى للهجرة.. المدينة المنورة وقـد حل بهـا وبـاء أصاب كثيرًا من المسـلمين بالحمّـى.. حتى أصاب النـاس بلاء عظيم – لا يدخل الوباء بيتًا حتى يصيب كل من فيه.. فى بيت أبى بكر: أصابتـه الحمـى رضي الله عنه، وأصابـت المقيميـن معـه من مواليـه: عامـر بن فهيرة، وبلال بن رباح..».

«دار أبـى بكر.. تدخل عليه عائشـة قبل أن يضرب الحجاب.. تدنو من أبيها..».

عائشة : (مشفقة قلقة) كيف تجدك يا أبت؟!

أبو بكر : (ينشد بصوت واهن).

كل امرئ مصبح فـى أهلـه والموت أدنى من شراك نعلـه

عائشة : (كالمحادثة نفسـها) والله ما يدرى أبى ما يقول من فرط الحمّى!!

«عائشة تتجه بصحن الدار إلى عامر بن فهيرة مولى أبيها.. تريد أن تطمئن على حاله..».

عائشة : كيف تجدك يا عامر؟!

عامر بن فهيرة : (ينشد بصوت واهن)

لقد وجدت الموت قبل ذوقـه إن الجبان حتفُه من فوقـه!

كل امرئ مجاهـد بطوقـه كالثور يحمى جلده بَروقـه!

عائشة : (لنفسها) والله ما يدرى ما يقول!!

«بيـت النبى – ﷺ – تدخل عليه عائشـة، تنقـل إليـه عليـه السـلام ما رأت من حال أهل بيت أبيها الذين اشتدت عليهم الحمّى..!».

عائشة : (للنبى) إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمّى!

النبى : (مبتهـلاً) اللهم حبب إلينا المدينة، كما حببت إلينا مكة أو أشد، وبارك لنا فى مدها وصاعها، واصرف عنها وباءها!

* * *

«المدينـة وقـد انحسـر الوباء، وانقشـعت الحمّى..

يهـود وقد اسـتمرءوا حملتهم ظاهرها البراءة وباطنهـا النفـاق والتنكيل.. لإعجـاز محمد –

ﷺ – عن التفرغ إلى أداء رسالته.. يقرءون فى توراتهم أن الله قد خلق الدنيا فى ستة أيام ثم استراح – حاش لله! – فى اليوم السابع!!».

«النبى – ﷺ – فى المسجد، يلم به بعض يهود.. ذهبوا إليه متحرشين..».

اليهود : متى خلق الله مفردات هذا البناء!

النبى : خلق الله الأرض ثم الجبال ثم خلق السموات، وخلق بعد ذلك النجوم والشمس والقمر..

اليهود : ثم ماذا يا محمد؟!

النبى : استوى سبحانه على العرش.

اليهود : (معرضين) قد أصبت لو أتممت وقلت ثم استراح!!

«النبى – ﷺ – يغضب غضبًا شديدًا لقولهم أن الله يستريح كالبشر الذين يتعبون ويستريحون.. يتركهم عليه السلام، ويمضى...».

«النبى – ﷺ – يتعبد ويناجى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة ق الآية ٣٨].

(يرتفع الوحى)

* * *

«فى قباء.. على تخوم المدينة.. جمع يضم بعض المهاجرين وعددًا من أهل يثرب فيهم من

أسـلم، وفيهم من أظهر الإسـلام ريـاءً ونفاقًا.. ومعهـم بعض يهـود.. يمضى بهـم الحديث، يتحادثون فـى النبوة التى أشرقت على المدينة، والنبى المصطفى وآياته، وما عم المدينة من سلام وصفاء منذ مقدمه.. يتداخل فى الحديث الجُلاس ابن سويد بن الصامت.. يندفع مستخفًا..».

الجلاس : (متعاجبًـا) عجبى لكـم.. إن كان ما جاء به محمد حقًا، لنحن أشر من الحمر!!

مسلم : (بغضب) ماذا تعنى؟!

الجلاس : أقـول إنـه إن كان ما جاء به محمد حقًا لنحن أشـر من حمرنا هذه التى نحن عليها!

أنصارى : لأنت إذن أشر من حمار!

«يثـور الجـلاس، وبعـض المنافقـين.. يعلو الصخب، يقطعه عمير بن سعيد.. وكان فى حجر الجُلاس منذ تزوجته أم عمير بعد وفاة أبيه..».

عمير : مـا هذا يا عـدو الله..؟ تعلـم أنك أحب النـاس إلىّ، وأحسـنهم عندى يـدًا، وأعز علىّ من أن يصيبك شـىء تكرهه.. ولقد قلت مقالة الآن لئن رفعتها عليك لأفضحنك؟ ولئن صمت وسـكت عليها ليهلكن دينى، ولإحداهما أشر علىّ من الأخرى.

«يتداخل آخر.. يدعى مصعب..»

مصعب : (متداخـلاً) والله لأخبرن رسـول الله - ﷺ - بما قلت.. (مسـتأنفًا) فإنـى إن لا أفعـل أخـاف أن تصيبنى قارعة، وأؤاخذ بخطيئتك!!

«ينصرف الرجلان عمير ومصعب غاضبين.. لا يلويان على شيء، بينما يقف الجُلاس بن سويد مبهوتًا لا يدرى كيف فعل ما فعل!!!».

* * *

«النبى - ﷺ - جالس فى ظل شجرة، وإليه بعض صحابته من المهاجرين والأنصار.. يطلع عليهم رجل أزرق (أزرق العينين، وكانت العرب تتشاءم بالأزرق وتعده لئيمًا).. «يتحدث البعض بأنه وبعض رفاقه من المنافقين يذكرون النبى - ﷺ - بسوء..».

النبى : (معاتبًا فى رفق) علام تشتمنى أنت وأصحابك؟!

الرجل الأزرق : ما فعلت يا نبى الله.. وسآتيك بأصحابى لترى بنفسك.

«لا ينتظر الرجل.. ينطلق لا يلوى على شىء..».

* * *

«النبى عليه السلام فى مجلسه.. يأتيه الرجل الأزرق مع رفاقه يحلفون للنبى بالله ما قالوا وما فعلوا.. النبى عليه السلام لا يناقشهم ويتجاوز عنهم..».

«النبى عليه السلام فى مجلسه وسط أصحابه، يأتيه مصعب وعمير فيقصان عليه ما كان من أمر الجُلاس بن سويد بن الصامت من نفاق وتطاول..».

مصعب : يا رسول الله، لولا مخافة أن أخلط بخطيئته أو تصيبنى قارعة، ما أخبرتك!

«النبى - ﷺ - يطرق مليًا.. بعد برهة يرسل فى طلب الجُلاس..».

* * *

«النبى - ﷺ - بمجلسه يأتيه الجلاس ابن سويد..».

النبى : (دون أن يفارقه حلمه) يا جلاس، أقلت الذى قال مصعب؟

الجلاس : والله يا نبى الله لقد كذبا علىَّ.. كذب علىَّ عمير، وكذب علىَّ مصعب، ما قلت ما قاله مصعب أو عمير!! أحلف بالله ما قلت ما قالاه..

«النبى - ﷺ - ينظر إليه مليًا.. لا يريد أن يكذبه، فلا يعلق بشىء!».

* * *

«بعد أيام.. النبى - ﷺ - فى تعبده وتحنثه ومناجاته ربه، يتأمل فى أحوال المنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون ولا يتوقفون عن دس سمومهم وإساءاتهم للنبى والإسلام والمسلمين.. لا يجدون بأسًا فى أن يحلفوا بالله كذبًا لإنكار ما قالوه.. يقع فى ذلك كثير منهم، ينطقون - نفاقًا: بالكفر، ثم لا يلبثون أن يحلفوا بأنهم ما قالوا شيئًا من ذلك وما فعلوا..».

«النبى ﷺ فى تأملاته فى أحوال المنافقين.. يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من كلمات ربه».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة التوبة الآية ٧٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«حى من أحياء المدينة.. لفيف من مسلمى الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتسامرون ويتضاحكون فى محبة وصفاء.. يمر بهم شاس ابن قيس ومعه أحد فتيان اليهود.. يكاد يتوكأ عليه.. شاس شيخ يهودى طاعن فى السن.. شديد الضغن على النبى والمسلمين، والحسد لهم.. يغيظه ما رأى عليه المسلمين، وما آل إليه الأوس والخزرج، من ألفة وصفاء ووئام بعد ما كان بينهم من عداوة شديدة فى الجاهلية..».

شاس : (متمتمًا لنفسه فى غل) قد اجتمع ملأ بنى قَيْلَة (قَيْلَة بنت كاهل بن عذرة أم الأوس والخزرج) بهذه البلاد!! (مغيظًا) لا والله.. ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار!!

«يمضى فـى طريقه متوكئًا على عصاه يحدثه شيطانه بأمر!!».

* * *

«نفر مـن اليهود فى بيت أحدهـم.. فيـهم شاس بن قيس».

شاس : (مبـادرًا) ها قد رأيتم ما صارت إليه المدينة منذ جاء هذا المحمد.. كأنى بكم لا تعيشون فى يثرب وترون ما أرى؟!

يهودى : قد فشا أمره، وعظم خطره، ولا نأمن أن ينقلب علينا!!

فتى يهودى : (مستحسنًا) ماذا تنتظرون؟! أن ينقض علينا!!

حكيم يهودى : الرجل قد بدأ فوادعنا وعاهدنا.. ما لنا عليه من سبيل!

يهودى : (محرضًا) قد رأيتم من أسلم من قومنا!!

الفتى اليهودى : ما اتبعه إلا شرارنا وأراذلنا!!

اليهودى : ألم يسلم حبرنا الحصين (عبد الله) بن سلام؟! مـا أخشى إلا أن يتفشى دينه بيننا، وتضيع يهوديتنا!!

شاس : والأوس والخزرج!!.. ألا ترون اجتماع شملهم بعد فرقة، وتآلفهم بعد العـداوة.. لقد اجتمع ملأ بنى قيلة بيثرب منذ تابعوا محمدًا.. وما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار!!

يهود : (مرددين فى غيظ) أجل والله، ما لنـا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار!!

شاس : (بخبث) ما لنا بَحَرْبِهِ الآن قدرة، ولكنا نستطيع غير ذلك..

يهود : فهات ما عندك إذن!

«شـاس بن قيس ينادى الفتى اليهودى الذى كان معـه حين مَرَّا على الأوس والخزرج.. يهرع الفتى إليه..».

شاس : (للفتى اليهودى) إنك يا بنى لتختلف أحيانًا إلى مجلسهم!

الفتى اليهودى : نعم..

شاس : (محرضًا) إنك لتستطيع الكثير لقومك يهود!

الفتى اليهودى : كيف؟؟!

شاس : قد سمعت أى بُنى بيوم بُعاث؟!

الفتى اليهودى : يوم اقتتل الأوس والخزرج؟!

شاس : نعم نعم.. كان بينهما فى ذاك اليوم قتال كبير، ودماء كثيرة.. (متذكرًا) كان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج.. يومها كان على الأوس حضَير بن سماك الأشهلى، أبو أسيد ابن حضير.. وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى، (فى غل) فقُتلا جميعًا...

الفتى اليهودى : قد كان ذلك من سنوات!

شاس : (متجاهلاً مقالة الفتى).. اعمد إليهم فاجلس معهم.. ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله.. (بخبث) وأنشدهم بعض ما كانوا قد تقاولوا فيه من الأشعار..

يهود : (فرحين) مرحى مرحى.. ذلك حرىٌّ بأن يثير الحرب بينهم جذعة!

شاس : (محدثًا نفسه فى خبث وغل) كأنى أنظر الآن إلى تفاخرهم.. واقتتالهم!!!

«ينصرف الفتى اليهودى إلى بغيته..»

* * *

«مجلس الأوس والخزرج، ينضم إليهم الفتى اليهودى.. ما كاد يجلس، حتى أخذ يتودد إليهم فى خبث..».

الفتى اليهودى : (فـى تملق مصطنع) والله يا قوم، ما عرفت العرب مثلكم قط فى بأسكم وبلائكم!!

«يظهـر الرضا على الأوسـيين والخزرجيين.. يبدون علامات الموافقة والاستحسان..».

الفتى اليهودى : (مسـتأنفًا) لا زالت العرب تتسـامع وتتناقل ما أظهرتموه من بأس وبلاء يوم بُعاث!

أوس بن قيظى : (مـن الأوس.. يتفاخـر متضاحـكًا) أى والله.. قد ظفرنا يومها بالخزرج!

جبار بن صخر : (خزرجـى – يعـترض محـذرًا).. ما لك ولهـذا الحديث يا أوس؟! أنسـيت قتلاكم يومئذ.. قد قتـل يومها زعيمكم حضير بن سماك وغيره من زعمائكم وصناديدكم!!

أوس بن قيظى : (وقد انتفخت عروقه غضبًا) كأنك أنت الذى نسيت مقتل زعيمكم عمرو بن النعمان البياضى يومئذ؟!!

«الفتـى اليهـودى يحـاول إخفـاء غبطته.. يستأنف فى خبث..».

الفتى اليهودى : نعم نعم.. ما زلت أذكر أبيات أبى قيس بن الأسلت..

(ينشد)

على أن قد فُجعت بذى حفاظ فعادونى له حـزن رصيـنُ
فإن تقتلـوه فـإن عمـرًا أعض برأسه عضـبّ سنيـنُ

جبار : (متوعـدًا فـى غضب).. إن شـئتم رددناها اليـوم جذعة (جذعة شابة فتية – يريد عودة الحرب قوية كما كانت).

«يتصايح الخزرجيون مؤيدين»

أوس : (فى غضب) قد فعلنا.. ستعرفون أننا نحن الناس!

«يتصايح الأوسيون مؤيدين»

الخزرجيون : (متنادين) السلاح.. السلاح!

الأوسيون : (متنادين) السلاح.. السلاح!

جبار : (متوعدًا) موعدنا الظاهرة (الحرة)..

«يتصايح الفريقان.. إلى الظاهرة (الحرة).. إلى الحرة.. السلاح إلى السلاح.. السلاح.. يتدافع الأوسيون والخزرجيون إلى الحرة بظاهر المدينة شاكين فى سلاحهم.. يتخلف أحد المسلمين ينسلت منهم ويطير إلى النبى ﷺ ليبلغه الخبر..».

* * *

«فى الحرة، بظاهر المدينة... وقد تأهب الفريقان للاشتباك والقتال والنزال.. يبدو رسول الله – ﷺ – قادمًا من بعيد فى نفر من المهاجرين.. يمسك الفريقان احترامًا لمقدمه.. يفسحون له المكان فيقف فيهم خطيبًا..».

النبى : (مؤنبًا فى غضب واضح) يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! بعد إذ هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية.. واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم؟! ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟!!

«كلام النبى ﷺ وقد اشتد وقعه على الأنصار وسرى بين الفريقين.. يبدون كمن أفاقوا.. يقف الأوسيون والخزرجيون مطرقين خجلا.. لا يحير أحدهم جوابًا، ولا يجدون ما يقولون.. يغالبهم

البكاء فتنثال عبراتهم.. يتعانق الفريقان.. لا يقدر أحدهم أن ينظر إلى رسول الله من فرط ما شعروا به من الخجل لانقيادهم إلى نزعة الشيطان!!».

«النبى - ﷺ - فى موقفه، يتنزل عليه الروح الأمين فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[سورة آل عمران الآيات من ١٠٠ - ١٠٣].

(يرتفع الوحى)

«ما يكاد الوحى يرتفع، حتى ينادى النبى - ﷺ - فى الأنصار.. أوسًا وخزرجًا.. يقرأ عليهم بصوت عال ما تنزل عليه من قرآن.. ما يكاد النبى عليه السلام يفرغ من تلاوته حتى يسارع الأوسيون والخزرجيون إلى إلقاء سلاحهم.. تموج بينهم موجات التصافى والعناق.. ينصرفون متآخين متصافين فى صحبة رسول الله - ﷺ..».

جابر بن عبد الله : (لأنصارى بجـواره) والله ما أريت يومًا أقبح أَوَّلاً وأطيب آخرًا من هذا اليوم!

الأنصارى : كاد يهود يفعلونها بنا!!!

* * *

obeikandl.com